دولة ماليزيا
وزارة التعليم العالي (KPT)
جامعة المدينة العالمية
كلية اللغات
قسم الأدب العربي والنقد الأدبي

إخفاق الشعر في التأثير

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي والنقد الأدبي

اسم الباحث : محمد اسري

تحت إشراف : فضيلة الأستاذ الدكتور/ عصام فاروق

كلية اللغات – قسم الأدب العربي والنقد الأدبي–

الفصل الدراسي:

شتنبر 2012م = شوال 1433هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وإهداء

أشكر الله تبارك وتعالى أوّلَ كل شيء على ما منّ به عليّ من إتمام هذا البحث في خير وعافية، فله الحمد في الأولى والآخرة.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل إلى جامعة المدينة العالمية التي فتحت لي باباً كان موصدا لمتابعة الدراسة، وذللت لي سبلا وعرةً للنهل من معينها الصافي، فأشكر جميع القائمين عليها، والعاملين بها، وأخص بالذكر هيئة التدريس الذين ما فتئوا يبذلون علمهم لكل طالب علم وما آلوا جهدا في إيصال المعلومة إلى مبتغيها.

وإن أَنْسَ فلا أنسى فضيلة الدكتور المكرم/ عصام الفاروق على ما تفضّل به من الإشراف على البحث وعلى ما أولانيه من لطف وصبر وحسن توجيه، فله مني شكري واحترامي وتقديري.

كما لا يفوتني في هذا المقام أن أشكر كل العاملين بمركز المغرب على حسن تعاونهم وتجاوبهم مع استفساراتنا وطلباتنا، وأخص بالذكر منهم الأخت الأستاذة سناء بن كنون، فقد عهدناها حريصة على تقديم يد العون لكل محتاج.

وأخيرا فإني أهدي هذا البحث المتواضع لكل محبٍّ للغة العربية وآدابها.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فقد خلق الله تبارك وتعالى الإنسانَ، وركَّب فيه القدرة على النطق والبيان، ليُبين ويَستبين ما يتلجلج في أعماق النفس البشرية، وجعل له السمع والبصر والفؤاد منافذ تُعِدُّ هذه القدرة وتمدُّها، حتى إذا استوى إنسانا ناطقا مبينا ومستبينا، ابتغى بما ينشئ ويسمع من كلام حصول أحد غرضين:

أ/ الفهم والإفهام ب/ التأثر والتأثير

أما الغرض الأول فضرورة من ضرورات الاجتماع لتحقيق التعايش والتواصل، وعليه يتنزل قول ابن جني في تعريفه للغة من أنها (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)، وهذا الغرض متاح لعامة الناس، ميسَّر على جلِّهم، على اختلافٍ بينهم في درجات بلوغه.

أما الغرض الثاني ـ وهو أسمى الغرضين ـ فلا يتأتّى إلا من أحد رجلين:

أ/ رجلٍ جُبِلَت نفسُه على سرعة تلقف المعاني والاهتزاز لها، وأيضا على حسن تصويرها وتبليغها بقول بليغ مبين.

ب/ رجلٍ تصبَّر وتجلَّد في تطلب سبل يلتمس فيها فصاحة الكلمة وبلاغة الكلام، ويصقل فيها قريحته الشعورية والبيانية.

أي إن غرض التأثر والتأثير دائر بين كفّيْ الوهب والكسب، ولا يُفهم من هذا التقسيم أن النفس الموهوبة مستغنية تمام الاستغناء عن التكسب، كلّا، ولا المتكسِّب هنا لابد له من أن يبني تكسَّبه على شيء من الهبة.

ثم إنه ليس كل من رام الإفهام أدركه، ولا كلُّ مُبتغٍ للتأثير فهو بالغه، فقد يعرض لهذا الغرض وذاك ما قد يحول دون تحقق أدنى درجاته، أو ما يقصر به عن التمام والكمال.

من هذا المنطلق فقد انعقد العزم على إفراد بحث أتتبع فيه هذه الحوائل والمعوّقات استقصاءً وبيانا وتحليلا، غير أنه لما كانت طبيعة هذا النوع من البحوث يقتضي الحصر والتخصيص، لا الشيوع والعموم، فقد كان لزاما عليّ أن أقصر بحثي على أحد الغرضين، وفي ضرب معين من أضرب الكلام.

ثم إنه لما كان الشعر أرقى أنواع الكلام البشري، وكان المراد به التأثير على المستمع أو القارئ، ولما كنتُ قد خبرت من تلامذة المرحلة المتوسطة فتوراً في اهتزازهم وضعفاً في تجاوبهم مع هذا الضرب من النصوص، ارتأيت أن يكون موضوع هذا البحث حول الأسباب الكامنة وراء إخفاق الشعر في التأثير، وهو وإن كان بمثابة تشخيص للداء لكنه أيضا يحمل في طياته . تصريحا حينا وتضمينا أحيانا أخرى . وصفا للدواء.

ولعل من أهم الغايات التي يتوخى البحث تحقيقها أن يحمل كل متذوق للشعر على:

1/ تجنب الشطط والعجلة في الحكم على من يتحمل مسئولية الإخفاق.

2/ التزود من تصورات سليمة تُعين على بناء أحكام نقدية صحيحة.

3/ تخيُّر الأجود من الأشعار منشَدةً بأندى الأصوات وأبلغها تعبيرا.

4/ التوقي من الوقوع في هذه العيوب والعلل ليسلم له الغرض المنشود.

وقد جاء هذا البحث منتظما هذه المحاور:

المقدمة: عرضت فيها المنطلَق الباعثَ على اختياري للموضوع، وأهمَّ الأهداف المتوخى تحققها من البحث.

الفصل الأول: مقاربة معاني بعض المصطلحات

اجتهدت في هذا الفصل قدر المستطاع في بيان مفهومي (الشعر) و(التأثير) من حيث اللغة والاصطلاح.

الفصل الثاني: أسباب إخفاق الشعر في التأثير

تتبعت من خلال مباحث هذا الفصل منشأ الخلل والقصور في التأثير. وذلك ببيان عام عن المقتضيات والشروط التي بانتفائها يخلو الكلام – بوجه عام – والشعر - على جهة الخصوص – من التأثير، وقد تجمعت في ثلاثة شروط، هي:

1/اتصاف الشعر بصفة التأثير : والنظر في هذا الشرط ينصب بالدرجة الأولى على الشاعر باعتباره الناظم للقصيدة، والمتخيِّر لألفاظها، والسابك لتراكيبها، والمرتكب لبحرها بعلله وزحافاته.

تناولت في هذا المبحث الشروط التي بها تتوافر للشعر قوته التأثيرية، والتي أخل بها الكثير من شعراء العصر الحاضر، وقد انحصرت في أربعة شروط:

أ/ الباعث ب/ الإحساس ج/ المعاني د/ البيان.

2/ صوت الْمُنشد : بالنظر إلى أن المنشد هو الوسيط بين الناظم والمستمع، الناقل للقصيدة من صورتها المرئية إلى أدائها الصوتي المسموع.

تطرقت في هذا المبحث إلى دور (لغة الصوت) في إيضاح المعاني النفسية وإنفاذها إلى القلوب، وما ينبغي أن يتلبس به قارئ الشعر أو منشده حتى يكون لصوته هذا التأثير.

3/ قبول المحلّ (القارئ أو المستمع): باعتباره المتلقي للقصيدة، الراغب في تمثلها والتأثر بها والاهتزاز لها.

ألقيت الضوء من خلال هذا المبحث على مكامن الخلل التي قد تنطوي عليها نفس القارئ من بلادة في الإحساس أو فقر في المخزون اللغوي.

وإن كان لابد من ذكر الصعوبات التي اعترضتني في أثناء إنجاز البحث، فلم أر كالشغل والتكاليف التي تأتيني بغتة فتستهلك ما ادخرته من وقت للبحث، لم أر مثلها حاجزا بطّأ بي كثيرا، فحينها تمثَّل بين عينيّ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اغتنم خمسا قبل خمس: ...فراغك قبل شغلك...)).

أضف إلى ذلك قلة المصادر الأدبية الورقية المطبوعة في الولاية التي أوجد بها، ما جعلني أعتمد كثيرا على المراجع التي بين يدي . وهي قليلة أيضا . وهذا ما حدا بي إلى الاستعانة بمراجع إلكترونية عبر الشبكة العنكبوتية – والبحث فيها وتوثيق معلوماتها فيه من الصعوبة ما فيه –.

وإنني بهذا البحث لا أزعم أني قد بلغت الغاية، أو أدركت المنتهى، كلا، فثمة قصور ولا شك، بحكم طبيعتي البشرية، غير أن عذري أني بذلت وسعي وطاقتي في إخراج البحث على الوجه الذي يرضي القارئ، فإن أحسنت فذاك بتوفيق من الله، فله الحمد والمنة، وإن أسأت أو أخطأت فذاك من نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه.

الفصل الأول: مقاربة معاني بعض المصطلحات

أ/ مفهوم (الشعر)

لغة:

وردت مادة (ش.ع.ر) ومشتقاتها في كلام العرب بمعنى **العلم** ، فمن ذلك قولهم "ليت **شعري**: أي ليت لي **علما** حاضرا بما سوف يكون. و**تشاعروا** الأمر أو على الأمر: **تعالَموه** بينهم"[(1)].

وعلى هذا المعنى يدور كلام أصحاب المعاجم، يقول (الأزهري): "الشعر: القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها، وقائله شاعر؛ لأنه **يشعر** ما لا يشعر غيره، أي **يعلم**".

وقال (ابن منظور): "الشعر: منظوم القول غلب عليه؛ لشرفه بالوزن والقافية، وإن كان **كل علم شعراً**".

هذا الذي فهمه علماؤنا من أئمة اللغة وحفاظها، إنما هو على **سبيل التقريب** لا الترادف والتحقيق، "فإن الترادف في اللغة قليل ...وقلَّ أن يُعبَّر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميعَ معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه"[2]

---

(1) شاكر، أبو فهر محمود محمد، **معجم محمود شاكر**، إعداد: منذر محمد سعيد أبو شعر، ط الثانية (المكتب الإسلامي، 1428هـ-2007م)، مادة (شعر).

(2)ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مقدمة التفسير،

وبالنظر إلى اشتقاق الكلمة من (**الشعور**) يتقيد معناها بكون هذا العلم هو "**علم حِسّ**"، أو((**إدراك بلا دليل**. و(عند علماء النفس) يُطلق على العلم بما في النفس وبما في البيئة، وعلى ما يشتمل عليه العقل من إدراكات ووجدانيات ونزعات)).(3)

اصطلاحا:

أدق تعريف للشعر وأوجزه _ فيما أعلم _ هو ما جاء في كتاب (**نقد الشعر**) لقدامة بن جعفر من أنه (**كلام موزون ومُقفًّى**)، وهو على إيجازه مُغْنٍ عن التفصيل، ومساير لمدارج الشعر منذ نشأته الأولى إلى أن كثرت فيه لحاجة عصرنا وثرثرته.. . ففيه تحديد **الكلام** وأصل الكلام هو اللفظ المسموع لا المكتوب، وفيه ذكر **الوزن والقافية** وهو ضرب خاص مُقدَّر ومحدود من التناسق والتوازن والاتساق في وقع الكلمات المركبة.

وعلى طريقة المناطقة في نعت التعريف وبيان أجزاءه، نستطيع القول إن هذا التعريف جامع مانع، باشتماله على جنسٍ (الكلام) وفصلٍ (موزون ومقفى)، حيث **دخل** في قوله "الكلام" جميعُ أضرب اللفظ المركب المسموع، سواء ما كان منها للتعايش والتفاهم، أو ما كان بيانا عن النفس. و**خرج** بقوله " موزون ومقفى" الكلام المطلوب بالضرورة للتفاهم والتعايش وقضاء الحاجات، وأيضا **خرج به** الكلام البليغ المبين عن النفس المجرد عن هذا القدر من التناسق والتوازن والاتساق، وهو ما اصطلحوا عليه اختصارا (**بالنثر**).

وكأني بابن قدامة في تركيبه لهذا التعريف كان ينظر إلى المجتمع العربي في عصر الجاهلية وصدر الإسلام، حيث الكلام البليغ الْمُستجاد على ضربين: **شعر ونثر**. فلم يك ثمة داع إلى زيادة مُقيّد في التعريف؛ لإخراج ضرب آخر من الكلام.

---

(3) مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط 4، (مصر: مكتبة الشروق الدولية، 1425هـ = 2004م)مادة (شعر)

غير أن هذا التعريف لم يسلم من نقد النقاد واستدراك الْمستدركين، فكان أن رأى بعضهم ضرورة تقييد هذا التعريف بأهم أركان الشعر وهو **الشعور والعاطفة**، كي تخرج به المنظومات العلمية (ألفية ابن مالك مثلا).

يقول الأديب مصطفى لطفي المنفلوطي في مقال له بعنوان (النَّظَّامون) : ((إن علماء الضّاد الذين عرّفوا الشعر بأنه **الكلام الموزون المقفّى**، لم يكونوا شعراء ولا أدباء، ولا يعرفون من الشعر أكثر من إعرابه وبنائه واشتقاقه وتصريفه، وإنما جروا في ذلك التعريف مجرى علماء العروض الذين لا مناص لهم من أن يقفوا في تعريف الشّعر عند هذا القدر ما دام لا يتعلق لهم غرضٌ منه بغير أوزانه ، وقوافيه ، وعلله ، وزحافه.

لا تظنوا أن الشعر كما تظنون، وإلا لاستطاع كل قارئ، بل كل ناطق أن يكون شاعراً، لأنه لا يوجد في الناس من يعجزه تصوُّرُ النغمة الموسيقية والتوقيع عليها من أقصر طريق.

ما الشعر إلا رُوح يودعها الله فطرة الإنسان من مبدأ نشأته، ولا تزال كامنة فيه كُمُون النار في الزند، حتى إذا شدا، فاضت على أسلات أقلامه كما تفيض الكهرباء على أسلاكها، فمن أحسَّ منكم بهذه الروح في نفسه ، فليعلم أنه **شاعر**، أو لا، فليكفِ نفسه مؤونة التخطيط والتسطير، وليصرفها إلى معاناة ما يلائم طبعه، ويناسب فطرته من أعمال الحياة.))[4]

ورأى آخرون وجوب زيادة وصف رابع هو **القصد** ، حتى لا يدخل في حيز الشعر كلُّ كلام جاء موزونا اتفاقا بغير قصد. وقد استند العلماء على هذا القيد الأخير في تنزيه القرآن الكريم عن الشعر الْموزون، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه منهاج السنة (53/8): ((وما

([4])المنفلوطي، مصطفى لطفي، **النظرات**، بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، ط1،(بيروت: دار ابن حزم، 1422هـ-2002م)، ج 1، ص 287.

يوجد في القرآن من مثل قوله ﴿**وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا**﴾ [الكهف 104]. ونحو ذلك ؛ فلم يتكلف لأجل التجانس، بل هذا تابع غير مقصود بالقصد الأول.

كما يوجد في القرآن من أوزان الشعر ولم يقصد به الشعر؛ كقوله تعالى: ﴿**وجفان كالجواب وقدور راسيات**﴾ [سبأ 13]، وقوله ﴿**نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم**﴾ [الحجر 49] .. ونحو ذلك.))

ثم إن معظم من تصدى لبيان حقيقة الشعر والخوض في فلسفته لم يخلُ بيانه وتعبيره عن الركن الأهم، ركنِ الشعور والإحساس.

فمن ذلك قول الأستاذ محمود محمد شاكر: ((أخشى أن يكون أهم أركان الشعر إحساس الشاعر بمعانيه إحساسا كاملا نافذا متغلغلا، لا يدع للمنطق العقلي المجرد عملا في تكوين شعوره) ويقول أيضا : (فالشعور والتأثر والاهتزاز هي أصل الشعر، ولا يكون شعر يخلو منها ومن آثارها وتأثيرها إلا كلاما كسائر الكلام ليس له فضلٌ إلا فضل الوزن والقافية))(5)

وللأديب مصطفى صادق الرافعي تأملات في مدلولات "الشعر"، من ذلك مقال له بعنوان (نقد الشعر وفلسفته): مما يقول فيه: ((فإنّ الشعر إن هو إلا ظهور عظمة النفس الشاعرة بمظهرها اللغوي)، ويقول أيضا عن الشعر: (هو فن النفس الكبيرة الحسّاسة الْمُلهَمَة حين تتناول الوجود من فوق وجوده في لطف روحاني ظاهرٍ في المعنى واللغة والأداء.))(6)

---

(5) شاكر، أبو فهر محمود محمد، **جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر**، جمعها وقرأها وقدم لها: عادل سليمان جمال، ط الثانية (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1423هـ-2003م)، ج 1، ص101.

(6)الرافعي، مصطفى صادق، **وحي القلم**، بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، ط1، (بيروت: دار ابن حزم، 1426هـ-2005م) ص 983-985.

ب/ مفهوم (التأثير)

التأثير مصدر أثَّر في الشيء يؤثر فيه، إذا أحدث أثرا وتركه فيه، ((قال الخليل :**والأثر** بقيَّة ما يُرى من كل شيء وما لا يُرى بعد أن تبقى فيه عُلقة، **والأثير** من الدواب : العظيم الأثر في الأرض بخفه أو حافره، **وأثر** السيف ضربته))(7)

يتبين من تعريف الخليل للأثر من جهة اللغة أنه يشمل المحسوس (ما يُرى) والمعقول (ما لا يرى)، أما استعمال الأدباء والنقاد لهذا المصطلح فيقصرونه على المعقولات، وإن كان لهذه المعقولات في أحيانٍ كثيرة آثارٌ محسوسة.

وأنقل ههنا كلاما لبعض الأدباء والنقاد في بيان ما يتضمنه لفظ (التأثير) من معانٍ في عُرفهم. يقول الأديب مصطفى لطفي المنفلوطي: ((وعندي أن أفضل تعريف للشعر أنه (تصوير ناطق)؛ لأن قاعدة الشعر الْمُطردة هي **التأثيرُ**، وميزان جودته **ما يترك في النفس من أثرٍ**، وسرُّ ذلك التأثير أن الشاعر يتمكن من رفع الستار بينه وبين السامع، فيُريه نفسه على حقيقتها، فيصبح شريكَه في حسِّه ووجدانه.)) **(النظرات/ج 2، ص256)**

ويقول الأديب مصطفى صادق الرافعي: ((فالمراد بالشعر ـ أي نظم الكلام ـ هو في رأينا التأثير في النفس لا غير، والفن كله إنما هو هذا التأثير، والاحتيال على رجَّة النفس له، واهتزازها بألفاظ الشعر ووزنه، وإدارة معانيه، وطريقة تأديتها إلى النفس)) **(وحي القلم/983-985)**

"وإذا كان تأثير المفكر والمفتي علميّاً فإنّ تأثير الشاعر أخلاقيّ من جهة ، وهِمَمِيٌّ من جهة أخرى ، يحبِّبُ للنفوس البذل ، ويوجد فيها الاستعداد لركوب المصاعب ، وبخاصة إذا نُشر شراع الدعوة وقت هبوب الرياح ، فينزل الشعراء ليضرموا حرارة التحدي ، ويغرسوا روح الهدم والبناء" (**محمد أحمد الراشد / صناعة الحياة : 31.**)

---

(7) أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا ، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ط ـ (طبعة اتحاد الكتاب العرب ، 1423 هـ = 2002 م)، **مادة (أثر)**.

ولعل من المستحسن ههنا أن نضرب أمثلة من تراثنا الشعري تبين سلطان الشعر على النفوس وتأثيره فيها. لأنه كما قيل " بالمثال يتضح المقال".

فمن ذلك ما جاء في كتاب : **قصص العرب 410/1 لمحمد جاد المولى ويوجد** طرف من القصة في كتاب : **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 194/1**:

1/ "قال أحمد بن أبي داود: ما رأينا رجلاً نزل به الموت فما شغله ذلك ولا أذهله عما كان يجب أن يفعله إلا تميم بن جميل – وكان قد خرج على المعتصم لسنوات فظفر به – ، فإنه كان تغلب على شاطئ الفرات ، وأوفى به الرسول باب أمير المؤمنين المعتصم في يوم الموكب حين يجلس للعامة ، ودخل عليه ، فلما مثل بين يديه ، دعا بالنطع والسيف ، فأحضرا ؛ فجعل تميم بن جميل ينظر إليهما ولا يقول شيئاً، وجعل المعتصم يصعد النظر فيه ويصوبه، وكان جسيماً وسيماً، ورأى أن يستنطقه لينظر أين جنانه ولسانه من منظره ؛ فقال: يا تميم ، إن كان لك عذر فأت به ، أو حجة فأدل بها ؛ فقال:

أما إذ قد أذن لي أمير المؤمنين فإني أقول : الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . يا أمير المؤمنين، إن الذنوب تخرس الألسنة ، وتصدع الأفئدة ، ولقد عظمت الجريرة ، وكبر الذنب ، وساء الظن ، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما منك وأسرعهما إليك أولاهما بإمامتك ، وأشبههما بخلافتك ، ثم أنشأ يقول:

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً ... يلاحظني من حيثُما أتلفَّت
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي ... وأيُّ امرئ مما قضى الله يُفلت
ومن ذا الذي يدلى بعذر وحجة ... وسيف المنايا بين عينيه مُصْلت
يعز على الأوس بن تغلب موقف ... يسل علي السيف فيه وأسكت
وما جزعي من أن أموت وإنني ... لأعلم أن الموت شيء مؤقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم ... وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حين أنعى إليهم ... وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فإن عشت عاشوا خافضين بغبطة ... أذود الردى عنهم وإن مُتُّ موتوا

فكم من قائل: لا يبعد الله روحه ... وآخر جذلان يسر ويشمت

قال: فتبسم المعتصم ، وقال: كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل ، اذهب فقد غفرت لك الصبوة ، وتركتك للصبية "

2/ وأمر السفاح بقتل وجوه بني أمية بعدما قربهم وأدناهم، عندما دخل عليه سديف مولاه، وأغراه بهم في قوله:

لا تُقيلنَّ عبدَ شمس عثارا .... واقطعن كل رَقْلَةٍ وغِراسِ
ذُلُّهَا أظهر التودّدَ منها .... وبها منكم كحزِّ الْمَواسِ
ولقد ساءنى وساء سِوائِى .... قربهم من نَمَارق وكَراسِ
أَنْزِلوها بحيث أنزلها الله .... بدار الهوان والإتعاس
أقصهم أيها الخليفة واحسم .... عنك بالسيف شأفة الأرجاس

ويُروى أنه قد بَسط عليهم الأنطاع فأكل الطعام عليها وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا). **(ابن الأثير/ الكامل في التاريخ –ج4 ص 333)**

3/ بل قد سمع النبيُّ صلى الله عليه وسلم قول قُتَيْلة بنت الحارث تعاتبه في قتله أخاها النضر بن الحارث على ما بينه وبينه من صلة القرابة:

أمحمدُ يا خير ضِنْءٍ كريمةٍ * من قومها والفحْل فحْل مُعْرِقُ
ما كان ضرك لو مننت وربما * مَنَّ الفتى وهو الْمَغيظ الْمُحْنَق
أو كنت قابل فدية فلينفقن * بأعز ما يغلو به ما ينفق
والنضر أقرب من أسرت قرابة * وأحقهم إن كان عِتْقٌ يُعتَق
ظلت سيوف بَنِي أبيه تنوشُه * لله أرحامٌ هنالك تَشَقَّق
صبرا يقاد إلى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق

قال ابن هشام: ويقال والله أعلم: أن رسول الله لما بلغه هذا الشعر قال: «لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه".(**ابن كثير/ البداية والنهاية – الجزء الثالث مقتل النضر بن الحارث)**

ولعل قائلا يقول . وقد لاحظ مصادر هذه الروايات . : قد حِدْت عن الصواب في الْتماسك هذه النصوص والقَصَص من كتب التاريخ، وقد كان واجبا عليك تطلُّبُها من كتب الأدب والشعر. فأقول: إنما كان الغرض من إيراد هذه الأشعار هو بيان تأثيرها على المستمع ونوع الأثر الذي تركه في نفسه، لا بيان مواطن الحسن والإجادة. فاستدعى ذلك ذكر مناسبة نظمها وسرد آثارها، وهو ما لا تظفر به إلا في كتب التاريخ والقصص.

الفصل الثاني: أسباب إخفاق الشعر في التأثير

كنت قد أنعمت النظر في الأسباب التي تقتضي إخفاق الكلام ـ بوجه عام ـ في التأثير، وقادني التفكير إلى استحضار آية من كتاب الله وحديث من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، تُبيِّنان بعض الشروط الواجب توفرها لإحداث أثر ما في نفس المستمع.

أما الآية الكريمة فقول الله تعالى: { إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد } سورة (ق)، الآية:37.

يقول ابن القيم رحمه الله في تفسير هذه الآية: "وذلك أن **تمام التأثير** لما كان موقوفا على مؤثر مقتض، ومحل قابل، وشرطٍ لحصول الأثر، وانتقاء المانع الذي يمنع منه، تضمّنت الآية بيان ذلك كلّه بأوجز لفظ وأبينه، وأدلّه على المراد.

فقوله تعالى:{ إنّ في ذلك لذكرى} إشارة الى ما تقدّم من أوّل السورة الى ها هنا، وهذا هو المؤثِّر.

وقوله:{ لمن كان له قلب} فهذا هو المحل القابل، والمراد به القلب الحيّ الذي يعقل عن الله، كما قال تعالى:{ إن هو إلا ذكر وقرآن مبين. لينذر مَن كان حيّا} يس 69-70 . أي حيّ القلب.

وقوله: {أو ألقى السمع} أي وجّه سمعه وأصغى حاسّة سمعه إلى ما يُقال له، وهذا شرط التأثّر بالكلام.

وقوله: {وهو شهيد} أي شاهد القلب حاضر غير غائب

فإذا حصل المؤثرُ وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحي، ووجِد الشرط وهو الإصغاء، وانتقى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه الى شئ آخر، حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكّر.."[8]

((وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فما سمعت أحدا أحسن صوتًا أو قال : قراءة منه. وفي بعض ألفاظه : فلما سمعته قرأ : { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ } [الطور : 35] ، خلت أن فؤادي قد انصدع (صحيح البخاري برقم (765 ، 4854) وصحيح مسلم برقم (463).).

وكان جبير لما سمع هذا بعدُ مشركا على دين قومه ، وإنما قدم في فداء الأساري بعد بدر ، وناهيك بمن تؤثر قراءَتُه في المشرك المصرِّ على الكفر! وكان هذا سبب هدايته ولهذا كان أحسن القراءة ما كان عن خشوع القلب ، كما قال أبو عبيد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن ليث ، عن طاوس قال : أحسن الناس صوتًا بالقرآن أخشاهم لله))[9]

والمراد من تحسين الصوت بالقرآن تطريبه وتحزينه والتخشع به، والغرض أن المطلوب شرعًا إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة.

ونحن إذا قمنا بتنزيل كلام ابن القيم على شعر الشعراء، واسترشدنا بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم تبيَّن أن الشعر يُخفق في التأثير أو يقع دون الغاية، إذا تخلف شرط من شروطه الثلاث:

أ/ صفة التأثير في الشعر.

ب/ قبول الْمحَلّ (نفس القارئ وإحساسه).

---

(8) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **الفوائد**، تحقيق محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، ص 03

(9) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية (دار طيبة ، 1420هـ - 1999 م).

ج/ صوت الْمنشد.

أما عن **الشرط الأول ـ أي اتصاف الشعر بصفة التأثير** ـ فيقتضي أول كل شيء النظر في الباعث فالإحساس، ثم المعاني فالبيان : بيان اللغة وبيان الوزن والنغم.

((وإنما بني الشعر العربي في أوزانه وقوافيه على **التأثير** لا على السرد، وعلى **الشعور** لا على الحكاية؛ ولا يريدون منه حديث اللسان ولكن حديث النفس؛ فهو في الحقيقة عندهم صناعة روحية يصنعون بها مقادير من الطرب والاهتزاز والفرح والحزن والغضب والحمية والنزعة))(10)

يقول الأستاذ محمود محمد شاكر: ((فأنت ترى أن **اللغة المتخيرة المرصدة للتعبير عن الإحساس** تعبيرًا مسدَّدًا بالمنطق العقلي الذي لا يزلُّ على مدارج المجاز، فتنقطع صِلاتُه بحقائق المعاني التي وُضِعتْ لها هذه الألفاظ اللغويَّة.

ثم **المنطقُ العقلي الذي يختزِن هذه اللغة**، ويستطيع أن يتحوَّل حاسَّة دقيقة مدبِّرة تقوم على الإحساس وتَحُوطه من الضلال، ثم **المعاني التي يتمثَّلها إحساس الشاعر** حين يهيجه ما يؤثِّر فيه تأثيرًا قويًّا عنيفًا، هذه الثلاثة هي مادة الشعر الجيِّد، فإذا سقط أحدها أو انحطَّ أو ضعف، سقط الشِّعرُ بسقوطه، أو انحطَّ، أو ضعف.

وأنا أقول ـ والقول لمحمود شاكر ـ : إن أكثر شعر العصر العربي الحاضِر قد انحطَّ وضعف وسقط؛ لأن أكثر الشعراء قد بلغ منهم العيب مبلغًا أفسد كلَّ ما يُعتَدُّ به من آثار (الشاعرية) التي بقيت فيهم، ولم يخلص لأحدٍ منهم جميع هذه الثلاثة التي ذكرنا.))(11)

---

(10) الرافعي، مصطفى صادق، **وحي القلم**، بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، ط1، (بيروت: دار ابن حزم، 1426هـ- 2005م) ص 1077.

(11) شاكر، أبو فهر محمود محمد، **جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر**، جمعها وقرأها وقدم لها: عادل سليمان جمال، ط الثانية (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1423هـ-2003م)، ج 1، ص103.

1/ الباعث

الباعث اسم فاعل من البعث: "... والبَعْث: إثارة باركٍ أو قاعد. تقول بعثتُ البعير فانبعث أي أثرته فثار"[12].

ومن هنا كان المقصود بالباعث المثير الذي يثير المبدع لنظم الشعر.

يقول ابن قتيبة: " وللشعر دواع تحث البطيء ، وتبعث المتكلف ، منها الطمع ومنها الشوق، ومنها الشراب ، ومنها الطرب، ومنها الغضب"[13]

وإن من الشعراء شعراءَ شغفوا بالشهرة وذيوع الصيت، فهم في إقبال دائم على نظم الشعر، وإن لم يُهيَّجوا ولم يُثاروا بباعث من بواعث النفس أو بواعث المكان والزمان، اللهم إلا باعث حُبِّ الظهور – وكفى به باعثا لذوي النفوس اللواقس – فيأتي شعرهم فاترا ضعيفا خامدا، لا يحرك ساكنا ولا يثير قاعدا أو باركا.

((يُروى أن خلفا الأحمر سأل تلميذَه أبا نواس أن يرثيَهُ قبل أن يموت ليسمعَ ما يقولهُ فيه، فسكت أبو نواس ساعة ثم أسمعه رثاءه فقال له خلف حين سمِع هذا الرثاء : أحسنت والله.

فقال أبو نواس: يا أبا مُحرز، مُتْ ولك عندي خيرٌ منها.

فقال خلف: كأنك قَصَّرت؟ قال: لا، ولكن أين **باعث** الحزن ؟))[14]

---

(12) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهرويّ، **تهذيب اللغة**، تحقيق : عبد السلام هارون.مادة (بعث)

(13) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، **الشعر والشعراء**، تحقيق : أحمد شاكر، ط 2، (القاهرة: دار المعارف، 1388هـ- 1958م)، ص78.

(14) شاكر، أبو فهر محمود محمد، **نمط صعب ونمط مخيف**، ط 1، (جدة: دار المدني، 1416هـ-1996م)، ص 338.

2/ الإحساس

الإحساس لغة مأخوذ من ((**(حسّ)** الحاء والسين أصلان: فالأول غلبة الشيء بقتل أو غيره، والثاني حكايةُ صوتٍ عند توجُّعٍ وشبهه.

فالأول الحَسُّ: القَتْل، قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران 152].

ومن هذا الباب قولهم أحْسَسْتُ، أي عَلِمْتُ بالشيء. قال الله تعالى: ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ [مريم 98]. وهذا محمولٌ على قولهم قتلتُ الشيءَ عِلْما. فقد عاد إلى الأصل الذي ذكرناه. ويقال للمَشَاعر الخَمْسِ الحواسُّ، وهي: اللَّمس، والذَّوق، والشمَّ، والسمع، والبصر.

ومن هذا الباب قولهم: من أين حَسِسْتَ هذا الخبر، أي تخبّرتَه.))[15]

((...وما أحسب الإحساسَ إلا نكتةً صافية في القلب تقابل نكتة العين التي يكون بها البصر ، فكل ما انطبع في هذه انطبع في تلك ، لكي تكون الروح بين مرآتين فيسهل عليها أن تدرك الحقيقة بالمقابلة ، فإذا نزل الشاعر الدقيق الحس بروضة غناء نضرة أحس بقلبه كأنما يخضرُّ بعد يُبس وإذا أطل في الغدير الضافي أحس بمعنى الماء ينساب في عروقه.))[16]

فالشاعر إنسان يقظ الإحساس، ما إن يتأثر بباعث حتى تتولد له معان من هذا الإحساس، فلا يزال الإحساس يمد المعاني بأسرار الأشياء والجمال الخفي الذي لا يدرك بالعقل.

((ولا سبيل لنا إلى معرفة صدق الإحساس وتيقُّظه، إلا من خلال تذوق شعر الشاعر، أي من خلال الكلام المركب من الأحرف والكلمات والجمل والتراكيب، وما تؤدي إليه من المعاني، كل ذلك يكون حاملا لآثار عالقة تنم عن إحساس ما.

---

(15) أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا ، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ط ــ (طبعة اتحاد الكتاب العرب ، 1423 هـ = 2002 م)، **مادة (حسّ)**، 10/2.

(16) الرافعي، مصطفى صادق، **حديث القمر**، ط 8، (دار الكتاب العربي، 1982 – 1402هـ) ص

فكما أن الخط أيضا (وهو عمل من أهم أعمال اليد في تقييد الكلام وتثبيته بالتسطير على الورق وغيره) يحمل في طوايا رسمه دلائل كثيرة عميقة على صاحبه الذي كتبه بيده، ويحمل دلائل على أخلاق الكاتب وعاداته وطبائعه وحالاته وهيآته وسماته المختلفة المتباينة. فكذاك قدرة الاستبانة (التذوق) التي أودعها الله في الإنسان، هي قادرة على استخراج دلائل خفية مغرقة في الخفاء)). (من كلام محمود شاكر . بتصرف)

3/ المعاني:

المعاني في أصلها إن هي إلا أفكار تُعْرض على القلوب، يستوي في ذلك الشاعر وغيره، غير أن هذه الأفكار تصير معانٍ شعريةٍ حين تَخرج على الناس في زينةٍ من فنِّ الشاعر وخياله وأدائه ولفظه.

فوظيفة الشاعر أن ((يجدد لك هذه المعاني تجديدا **ينقلها من المعرفة إلى الشعور بالمعرفة، ومن إدراك المعنى، إلى التأثر بالمعنى، ومن فهم الحقيقة، إلى الاهتزاز للحقيقة،** فتجد المعنى القريب وقد نقلك الشاعر إلى أغواره الأبدية، وأسراره العظيمة ، وكأنه قد خرج عن صورته التي ضربت عليه في الحياة**!**))[17]

3/ البيان

3- أ/ بيان اللغة:

يراد ببيان اللغة قدرة الشاعر على تخير المفردات اللغوية المألوفة الاستعمال البعيدة عن الغموض والوعورة والابتذال، المؤهلة لحمل المعاني التي يولدها إحساس الشاعر كاملة من غير

---

(17) شاكر، أبو فهر محمود محمد، **جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر**، جمعها وقرأها وقدم لها: عادل سليمان جمال، ط الثانية (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1423هـ-2003م)، ج 1، ص130.

نقصان. ثم قدرته على نظم هذه المفردات في تراكيب وجمل خالية من التعقيد والحشو ومن سائر عيوب فصاحة الكلام.

ولم يسلم هذا الشرط لكثير من شعراء العصر الحاضر ممن تصدرت أشعارهم صحف المجلات وأبدانهم مجالس الإنشاد. وأترك الكلمة لناقد أدبي عاصر شعراء النهضة الأدبية يصف حالة الشعر وقتئذٍ. ((ولا ينبئك مثل خبير))

ففي مقال بعنوان ((الشعر العربي في خمسين سنة)) انتقد الأديب مصطفى صادق الرافعي شعر الشعراء المحدثين، فبعد أن أشاد بما تزخر به أشعارهم من سعةٍ في المعاني وجموح في الخيال، آخذ عليهم إزراءهم على الفصاحة والبيان، قائلاً:

((...لولا ضعف أكثر المحدثين من النشء الجديد في البيان وأساليبه، وبعدهم من ذوق اللغة واعتياصِ مَرامِها عليهم، حتى حسبوا أن الشعر معنى وفكر، وأن كل كلام أدّى المعنى فهو كلام، ولا عليهم من اللغة وصناعتها، والبيان وحقيقته؛ وحتى صرنا والله من بعض الغثاثة والركاكة والاختلال في شرٍّ من توعُّر نظم الجاهلية وجفاء ألفاظه وكزازة معانيه؛ وهل ثم فرق بين أن تنفر النفس من الشعر؛ لأنه وعر الألفاظ عسير الاستخراج شديد التعسف، وبين أن تمجه؛ لأنه ساقط اللفظ، متسول المعنى، مضطرب السياق؟ ثم تراهم ينجزون الشعر كله على اختلاف أغراضه نمطًا واحدًا من تسهيل اللفظ ونزوله، حتى كأن هذه اللغة لا تنوع في ألفاظها وأجراس ألفاظها، مع أن هذا التنوع من أحسن محاسنها وأخص خصائصها دون غيرها من اللغات، كما أن كل تنوع هو من أبدع أسباب الجمال والقوة في كل فن؛ ولا يدري أصحابنا أن كل ذلك من عملهم عبث في عبث إذا هم لم يعطوا الشعر حقه من صناعة اللغة))[18]

---

(18) الرافعي، مصطفى صادق، **وحي القلم**، بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، ط1، (بيروت: دار ابن حزم، 1426هـ- 2005م) ص 1075.

ثم اقرأ بتدبر وإنعام نظر كلام الأديب محمود محمد شاكر وهو يلفت الانتباه إلى علاقة الإحساس باللغة المرصدة للتعبير عنه.

يقول: "...فإذا عرفت هذا أيقنت أن الشعر يتصل أول ما يتصل بإحساس قارئه وسامعه ، فيهزه بقدر ما تحمل **ألفاظه** من إحساس قائله. فإذا أخفق أن يكون أثره كذلك، فمرجع هذا إلى أن الشاعر **لم يوفَّق إحساسُه في الاستمداد من لغته ما يطابق الإحساس ويكون ((موصِّلا جيدا)) له،** لأن منطقَةُ العقلي لم يَنْبُذْ إليه من مادته ما هو حق المعاني التي يتطلبها إحساسه، هده واحدة.

أو أن مادة هذا المنطق العقلى أفقر من إحساس الشاعر، فهي لا تملك عندها ما يكفي للتعبير عن إحساسه، فهذه أخرى. ولهذه العلة الأخيرة تجد كثيراً من عامّة الناس ليسوا شعراء، ومع دالك فربما كان أحدهم أدق احساسا وأعمق وأعنف ويكون إحساسه أحفلَ بالمعاني وأغنى، وإنما يقطعُه عن الشعر هذه العلة، وهي فقر المنطق العقلي من اللغة التي هي مال له.)) (19)

3-ب/ بيان الوزن والنغم

جاء الشعر كلاما موزونا تتناسب فيه الحركات والسكنات من أجل أن يحمل القارئ أو السامع إلى ذلك الإحساس الذي غمر الشاعر على مطية الاهتزازات النغمية، والطرب الغنائي.

وقد أخل كثير من شعراء هذا العصر بهذا الشرط، فلم يحسنوا اختيار الوزن الملائم للغرض، ولا أجادوا انتقاء القافية التي تتجاوب مع المشاعر النفسية.

---

(19) شاكر ، **مرجع سابق،** ص: 101-102.

يصف الناقد الأديب مصطفى صادق الرافعي حال كثير من هؤلاء وقلة احتفالهم بهذا الأمر قائلاً:

((...وكما يهملون اختيار اللفظ يتسهلون في اختيار الوزن الملائم لموسيقية الموضوع فإن من الأوزان ما يستمر في غرض من المعاني ولا يستمر في غيره؛ كما أن من القوافي ما يطرد في موضوع ولا يطرد في سواه، وإنما الوزن من الكلام كزيادة اللحن على الصوت: يراد منه إضافة صناعة من طرب النفس إلى صناعة الفكر، فالذين يهملون كل ذلك لا يدركون شيئًا من فلسفة الشعر ولا يعلمون أنهم إنما يفسدون **أقوى الطبيعتين** في صناعته؛ إذ المعنى قد يأتي نثرًا فلا ينقصه ذلك عن الشعر من حيث هو معنى، بل ربما زاده النثر إحكامًا وتفصيلًا وقوة بما يتهيأ فيه من البسط والشرح والتسلسل، ولكنه في الشعر يأتي **غناء**، وهذا ما لا يستطيعه النثر بحال من الأحوال))[20]

ويختم الرافعي مقولته ببيان مآل الشعر ومصيره وحالِ ناظمه إن هو خلا من مقوماته السالفة الذكر، فيقول:

((فإذا لم يستطع الشاعر أن يأتي في نظمه بالرويّ المونق والنسج المتلائم والحبك المستوي والمعاني الجيدة التي تخلص إلى النفس، ورأيته يأتي بالشعر الجافي الغليظ والألفاظ المستوخمة الرديئة والقافية القلقة النافرة والمجازات المتفاوتة المضطربة والاستعارات البعيدة الممسوخة – فاعلم أنه رجل قد باعده الله من الشعر وابتلاه مع ذلك بزيغ الطبيعة وسرف التقليد، فما يجيء الشعر على لسانه في بيت إلا بعد أن يجيء اللغو على لسانه في مائة بيت أو أكثر أو أقل))[21]

---

(20) الرافعي، مرجع سابق، ص: 990

(21) الرافعي، مرجع سابق، ص: 991

الشرط الثالث: صوت المنشد

((إن الصوت الإنساني هو وحدَه القادر على الإبانة عن المعاني الخفيَّة المستكنَّة في طَوايا النُّفوس أو في أحاديث النُّفوس.

وفي الناس ناسٌ – وقليلٌ ما همْ – قد أجادوا (لغة الصوت) إجادةً بارعةً، وربما سمعتَ أحدَهم وهو يتكلَّم فما يكاد ينطق حرفًا أو حرفين حتى تحسَّ كأنَّ كلَّ معاني نفسه تنسربُ في نفسك واضحةً بيِّنَة، وأنَّك قد عرفتَ منه ما يَكاد يُخفِيه عن الناس جميعًا.

ورُبَّ رجلٍ أو امرأةٍ تسمَعُ كلامَه أو كلامَها وأنت لا تعرف عن أحدِهما شيئًا، فيُخيَّل إليك وأنت تسمَعُ أنَّك قد نفَذتَ على نَبرات هذا الصوت إلى أعمَقِ الأعماق المدفونة في هذه النَّفس الإنسانيَّة التي تُحادِثُك، وهذا شيءٌ لا يكونُ إلا في ذوي النُّفوس الصادقة الصافية البريئة من حشو الحياة وسَفْسافِها، وهذه النُّفوس وحدَها هي القادرةُ على أنْ تجعَلَ الصوت بمجرَّده لغةً مُبينة عن أغمَضِ المعاني التي تَعجِزُ البشَر عن حمْلها وأدائِها)) [22]

وفي مقال عن "الغناء العربي" كتب الأديب المنفلوطي: ((الغناء بقية خواطر النفس التي عجز عن إبرازها اللسان، فأبرزتها الألحان، فهو أفصح الناطقين لسانا، وأوسعهم بيانا، وأسرعهم نفاذا إلى القلوب وامتزاجا بالنفوس، واستيلاء على العقول، وأخذا بمجامع الأفئدة، وبيان ذلك أن النطق ثلاثُ طبقات تختلف درجاتها باختلاف درجات الإبلاغ والتأثير فيها، فأدناها النثر وأوسطها الشعر وأعلاها الغناء .)) [23]

إن قارئ الشعر أو منشدَه لم يكن ليهزَّ النفس الإنسانية ويُطربها بصوته إلا بعد أن تَحُلّ المعاني الشعرية من نفسه محلَّ الزبدة من اللبن أو محل الماء من الثلج. فحينها تتحدر الكلمات من فيهِ ممسكة برقاب المعاني الخفية والعواطف الدفينة.

([22]) محمود محمد شاكر، **مرجع سابق**، ص 316-317

([23]) مصطفى لطفي المنفلوطي، **مرجع سابق**، ص

وقد وصف الأستاذ محمود شاكر شيخَه الأديب اللغوي علي المرصفي حين كان يقرأ الشعر قائلاً:

((كان الشيخ حَسَنَ التَّقسيم للشِّعر حين يَقرَؤُه، فيقفُ حيث ينبغي الوقوف، ويَمضِي حيث تتَّصِلُ المعاني، فإذا سمعتَ الشعرَ وهو يقرَؤُه فهمتَه على ما فيه من غَريب أو غُموض، أو تقديم أو تأخير أو اعتراض، فكأنَّه يُمثِّله لك تمثيلاً لا تحتاجُ بعدَه إلى شرحٍ أو توقيف، وكان في صوت الشيخ مَعنًى عجيبٌ من الثقة والاقتدار، وفي نَبراته حين يُنشِدُ الشعْر معنى الفهْم للَّذي يَتلُوه عليك، فلا تكاد تُخطِئُ المعاني التي ينطَوِي عليها؛ لأنها عندئذٍ ممثَّلة لك في صوته.))(24)

الشرط الثاني: قبول المحلّ

لابد لقارئ الشعر أو سامعه من أن تنطوي نفسه أيضا على مستقبلات نشيطة تتجاوب مع ما ينفذ إليها من كلام محمَّل بأمواج متلاطمة من العواطف والمشاعر، ولعلنا نحصر أهم هذه المستقبلات في ما يلي:

أ/ الإحساس

يقول الأستاذ محمود محمد شاكر ((الأمر الثاني ـ الذي يُخفق بسببه الشعر في التأثير ـ مردُّه إلى القارئ أو السامع. فإذا كان إحساس السامع أو القارئ ضعيفا بليدا غثّا، فمهما يأته من شعر حافل قويٍّ عنيف دقيق العبارة عن إحساس شاعره ـ فهو لديه شيء فاتر ضعيف لا يهزه ولا يبلغ منه ولا ينفد فيه.))(25).

ثم يخص بالذكر والبيان ما ينبغي أن تكون عليه نفس السامع من وصف حين يُنشد منشدٌ الشعرَ وهو متلبس بالمعاني، محسن في الأداء وقفاً وابتداءً.

(24) محمود محمد شاكر، **مرجع سابق**، ج1/ ص 315

(25) محمود محمد شاكر، **مرجع سابق**، ج1/ ص 102

((وأنت محتاجٌ حِين تسمَعُ (لغة الصوت) أنْ تكون يَقِظَ النَّفس، حَيَّ الإحساس، نَفَّاذًا إلى المعاني المتلفِّعَة بالغُموض، حسنَ التيقُّظ للنَّبرات التي تدلُّ على ضمير اللفظ، سريعَ الخاطر في إدراك هذا الموج المتلاحِق من الحرَكات المختلفة.))

((فإذا كان الذي تسمَعُه كلامًا يُتلَى أو يُنشَد كالشعر مثلاً، وكان الذي يُنشِدُه قد عاشَ ساعةً في مَعانِيه حتى تلبَّس بها ونطَق لسانه مُعبِّرًا عن لسانها وعن لسان قائلها الأوَّل، كان عليك أنْ تكون لَيِّنًا، طَيِّعًا، سريعَ التبدُّل، جريءَ النَّفس في غَمرات العَواطف؛ حتى يُتاح لك أنْ تعيشَ أنت نفسُك في هذه المعاني ساعةَ تُتلَى عليك، وعندئذٍ تَغشاك غَمرةٌ لذيذة تدبُّ في غُضون نفسك، فتحسُّ كأنَّك تُبعَثُ بعثًا جديدًا في حياةٍ جديدة حافلة بالصُّور. فإنِ استطعتَ يومًا أنْ تجدَ في نفسك أنَّك مستطيعٌ أن تكون على هذه الصِّفة، فقد فهمتَ الشعر ونفَذتَ إلى أغْواره، وإنْ عجزت عن بَيان ما فيه.))

ب/ المخزون اللغوي

يُتْبِع الأستاذ شاكر كلامه السابق بقوله: ((غير أن هناك ضربا آخر من القراء أو السامعين يكون بليغ الإحساس جيد التلقي، صالحا للتأثر بما يتنقل إليه من هزة الإحساس لكن منطقه العقلي خِلوٌ من اللغة التي يعبر بها الشعر، إذ ليس له منطق عقلي سام متخير للكلام يختزن اللغة لنفسه إذا فكر، ولفهمه إذا حدث أو أنشد، فهو ربما سمع الشعر الجيد فلم يبلغ منه المبلغ الذي أريد له هذا الشعر.

ثم يردف قائلا ـ واصفا حال قُرَّاء الشعر في العصر الحديث ـ :

((وكثر هؤلاء في عصرنا هذا حتى سقط الشعر ولم يحفل به إلا قليل، وهم لم يكونوا كذلك إلا **لفساد التعليم وقلة احتفاله باللغة وبيانها وأسلوب مجازها، ولأن الجهلاء والسخفاء هم سواد الناس،** وفساد الطبائع فيهم راجع إلى هذين: فمخالطة الجهالة تورث الجهالة والخبال، وترك التعلم وسوء التعليم ذريعة مفضية إلى الجهل والبلادة، فكيف–مع هذين–يخلص أحدهم من فقر العقل و**بلادة التأثر** بالشعر البليغ الحافل بالإحساس المشبوب العنيف؟)).

الخاتمة

قد تم لي ـ والحمد لله رب العاليمن ـ بيان ما كنت أرغب في بيانه من رصد للأسباب التي تُفْضِي بالشعر إلى الإخفاق في وظيفته التأثيرية، على أني أرى أن البحث لا زال بعدُ لم يأخذ حظه الوافي والشافي من الوقت والجهد والنظر، وأورد هنا بعض الملاحظات والاقتراحات التي عسى أن تبعث في محبي (لغة الضاد) من يستعين الله في إتمام النقص وجبر الخلل:

1/ عرض نماذج من قصائد شعرية من عيون الشعر العربي التي احتفى بها النقاد قديما وحديثا، ومحاولة تبين مقتضيات التأثير فيها.

2/ إيراد نماذج من قصائد الشعر الحديث، واستنكاه علل إخفاقها في وظيفتها التأثيرية.

3/ وضع علاماتٍ للترقيم في قصيدة شعرية منتقاة، تُبيِّن مواطن الوقف والسكت، ومحاولة وضع ضوابط ومعايير للقراءة الشعرية.

وختاما أسأل الله جل وعلا أن ينفع بهذا العمل، ويكتب له القبول، وأن يتجاوز لي عما ارتكبته من خطأ أو سهو أو نسيان.

قائمة المراجع

أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا ، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ط ــ (دار الفكر، 1399 - 1979)، **باب الهمزة والثاء وما يثلثهما**، 54/1.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهرويّ، **تهذيب اللغة**، تحقيق : عبد السلام هارون.مادة (بعث)

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية (دار طيبة ، 1420هـ - 1999 م).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، **البداية والنهاية**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية (دار طيبة ، 1420هـ - 1999 م).

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، **الشعر والشعراء**، تحقيق : أحمد شاكر، ط 2، (القاهرة: دار المعارف، 1388هـ- 1958م).

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **الفوائد**، تحقيق محمد عزيز شمس، (دار عالم الفوائد).

الرافعي، مصطفى صادق، **وحي القلم**، بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، ط1، (بيروت: دار ابن حزم، 1426هـ- 2005م).

شاكر، أبو فهر محمود محمد، **معجم محمود شاكر**، إعداد: منذر محمد سعيد أبو شعر، ط الثانية (المكتب الإسلامي، 1428هـ-2007م).

شاكر، أبو فهر محمود محمد، **جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر**، جمعها وقرأها وقدم لها: عادل سليمان جمال، ط الثانية (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1423هـ-2003م).

شاكر، أبو فهر محمود محمد، **نمط صعب ونمط مخيف**، ط 1، (جدة: دار المدني، 1416هـ-1996م).

مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط4 (مصر: مكتبة الشروق الدولية، 1425هـ-2004م).

المنفلوطي، مصطفى لطفي، **النظرات**، بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، ط1،(بيروت: دار ابن حزم، 1422هـ- 2002م).